

السائدة. فالشباب يرصدون إشكاليات ضخمة فى كل مكان حولهم".

لا يوجد شك فى أن جميع تلك العناصر ، وغيرها، تساهم بدرجات متفاوتة. ولكنى أومن بأن هناك سبباً آخر، سبباً لم يسبق لك الاستماع له، ويتطلب فى الحقيقة اهتمامنا الجاد. أزعم أن الأيديولوجيات الاجتماعية الراديكالية لها نصيبها الذى تستحقه من اللوم، خاصة وهى تتسرب إلى الفصول التعليمية وإلى المراكز الاستشارية. فى يوم ما كنت أعتقد أن الأولوية الوحيدة القصوى لدى الطب النفسى الجامعى وعلم النفس الطلابى هى سلامة الطلاب.

لكنى لم أعد على هذا القدر من السذاجة.

السياسات الراديكالية متغلغلة فى مهنتى، إلى الحد الذى أضحت معه طاردة لكل مبادئ العقل والفطرة السليمة. إلى عهد قريب كان الطبيب النفسى يُسمّى علاقات الجنس الكاجوال نشاطاً "غير عقلانى" و"خاوى". قبل أن يكفم الصواب السياسى عقولنا وأفواهنا فى التسعينيات، كان طبيب الجامعة يؤكّد للطلاب أن الحب والعفة يحققان البهجة ولديهما القدرة على تحرير المشاعر، وهما أفضل تأمين ضد الأمراض المنتقلة جنسياً. كان الإجهاض والحمل غير المرغوب فيه قضايا جادة ذات شأن عظيم. استوعبنا حقيقة أن الرجال والنساء جنسان مختلفان للغاية، ولم يكن لدينا خوف من الاعتراف بذلك. كان واضحاً أن الغراميات خارج إطار العلاقات الجادة قد تشكّل خطراً، وأن الحكمة قد تقتضى من امرأة شابة أن تنتظر حتى تجد شخصاً جاداً. كان أى مرض منتقل جنسياً - حتى ولو كان من السهل شفاؤه - يُعتبر مسألة خطيرة. ساهمت مهارات ضبط النفس فى بناء الشخصية، وكان بناء الشخصية غاية قيّمة تستحق البذل. كانت بعض السلوكيات تُعتبر غير طبيعية، وكان من يمارسونها فى حاجة للمساعدة. كان الزواج التقليدى والأبوة والأمومة خطوات حياتية قيّمة. أن تبحث عن

معنى وأن تبذل التضحيات من أجل شيء أسمى - كانت تلك مساعي نبيلة ترسم ملامح إنسانيتنا.

لكن الأمور الآن قد تغيرت.

الآن يُنصح الشباب والفتيات باستخدام الوسائل المطاطية، وأن يكون لهم عدد محدود من الشركاء (بالتقابل مع عدد غير محدود؟). هناك اتفاق ضمنى على التعددية الجنسية والتجريبية الجنسية: تتعاطى إحدى الدراسات التى تناولت طلاب الجامعة عن "شركاء الجنس الأساسيين والكاجوال". أصبحت الإصابة بواحد من الأمراض المنتقلة جنسياً من طقوس العبور والنضج، وكأنه ملمح ثابت ضمن تضاريس الحياة. الإجهاض هو استبعاد أنسجة غير مرغوبة، مثل عملية إزالة لوزتى الحلق. يشجع مستشارو الحرم الجامعى طلابهم على الحصول على قسط كافٍ من النوم، وعلى تناول طعام صحى، وعلى ممارسة التمارين الرياضية بصورة منتظمة، وعلى منح أنفسهم وقتاً كافياً للاسترخاء. الأندية التى تمولها مصاريف الطلاب تحتفل بسلوكيات خطيرة. تؤمن النساء الشابات بإمكانية تأجيل الأمومة إلى ما لا نهاية، فصول صحّة المرأة تعمل على توعيتهن فقط عن كيفية تجنب الحمل. الزواج التقليدى والأسرة المكوّنة من أم وأب هى مجرد خيار، هناك بدائل، وجميع تلك البدائل متساوية من حيث المشروعية.

تلك التغيرات هى نتيجة أجدات اجتماعية خادعة اقتحمت مجتمع الحياة الجامعية، ومن خلال عملى فى مركز الاستشارات، أشاهد التبعات بشكل يومى. السلوكيات الخطيرة ليست أكثر من خيارات شخصية، إصدار الأحكام ممنوع لأن ذلك قد يتسبب فى جرح المشاعر. علينا أن نتعامل وكأنّ لدى الطلاب شركاء بلا توصيف نوعى: ما الفرق الذى يمكن أن يحدثه كون الشريك شاباً أو فتاة؟ أصبحت مُضطرةً لحضور ورش عمل "التعددية الثقافية" - من أجل زيادة حساسيتى ووعىي ومواجهة العنصرية الجنسية،

والعرقية، والفوييا من المثلية. يتم تشجيع فريق العاملين على حضور لقاء مع شخص متحوّل جنسياً وبحضور مُعالجه، والذي يصف رحلة التحول من أنثى إلى ذكر. يعلن رئيس الرابطة النفسية الأمريكية APA أن الديانات المنظمة هي مصدر رئيسي للظلم. وتعلن لجنة من تلك الرابطة قلقها مما اعتقده ومما أقوله. يطلبون منى ألا أفترض أبداً فى أى مريض ألتقيه أنه ذو ميول جنسية طبيعية مغايرة، أو أن النشاط الجنسي قد يؤدي إلى الحمل. على أن أتوقف عن التفكير فى أن الرجال والنساء "متضادان" كما فى تضادّ الجنس و"الجنس الآخر". لا ينبغي أن أستخدم هذا المصطلح - كما تؤكد اللجنة - "حتى نتجنب الاستقطاب".

. لقد تعرضت مهنتى للاختراق.

لا أستطيع أن أقوم بوظيفتى، مرضاى يعانون، وقد طفح الكيل.

هذا الكتاب يقص حكايات طلاب فى الجامعة هم ضحايا التغلغل الراديكالى النشط فى مهنتى. جاء إلى هؤلاء التلاميذ وسط الأزمات طلباً للمساعدة. كانوا غالباً ينتحبون، وأحياناً ما كنت أنتحب معهم دون أن يدركوا. كانت حكاياتهم مثيرة للحرز والقلق ولا يمكن نسيانها.

بالرغم من استخدام "الحماية" التقطت "ستيسى" فيروس الإتش بى فى، وهو عدوى تنتقل عن طريق الجنس. تركّز فاعليات الصحة الجامعية على "الجنس الأكثر أمناً". لذا لم يعد أمامى مجال لمحاولة التشجيع على تغيير السلوكيات. هل ستتطور العدوى لديها سريعاً إلى مرض الهيربس التناسلى؟ من المحتمل جداً أن تفقد أماندا فرصة الأمومة، لأن برامج "الصحة النسائية" فى الجامعة تركّز على وسائل منع الحمل، وليس على الأسرة المستقبلية والتي ربما تكون قد أجلتها بالفعل أكثر من اللازم. هل يمكننى علاج حالة الأرق التى تعانى منها؟

برايان أقام علاقات عابرة كاجوال مع رجال آخرين فى الجامعة، لكن خضوعه لتحليل الإتش-أى-فى هو "خيار شخصى". وإطلاق الأحكام

يظل أمراً ممنوعاً تماماً. هل ستكون حياته - وحياته آخرين سواء - قصيرة؟ تعتقد هيثر أن النساء مثل الرجال، لذلك فهي حائرة إزاء علاقتها برجل تقيم معه علاقة جسدية من دون التزامات العلاقات الرسمية الرومانسية - هو يشعر بالسعادة. وهي تشعر بكرهية الذات. هل عقار الزولوفت^(١) هو الإجابة؟

كان مرضاى يتألون، توجّهوا إلىّ، ولكن ما الذى بإمكانى فعله؟ على عكس غيرى من أطباء التخصصات الأخرى، فيداى مقيدتان. يحذّر أطباء القلب مرضاهم من الأحماض الدهنية وعدم كفاية ممارسة التمارين الرياضية. ويشجّع أطباء الأطفال على تناول الوجبات الصحية الخفيفة، وعلى ارتداء الخوذة الواقية أثناء التمرين، وعلى مناقشة موضوعات المخدرات والكحول. الجميع يُدين التدخين وأسرة تسمير البشرة. ألا يُفترض بإخصائى الرعاية الصحية تقديم النصائح والتحذيرات إزاء أنماط حياة مرضاهم؟

فيما يبدو أن الإجابة فى مجال عملى هى لا. فأنا أرى كثيراً من المرضى يعرضون صحتهم للخطر - وأحياناً حياتهم - من خلال ممارسة سلوكيات شديدة الخطر. ولكن لا يُفترض بى سوى أن أقول "تأكد من أنك محمى". محمى؟ من أخدع؟ لقد ظننت "ستاسى" أنها محمىة. وكذلك اعتقدت هيثر. وهما الآن تدفعان الثمن.

حيث أعمل أصبحنا مرغمين على الدوران فى فلك قضايا معيئة. بينما علينا أن نتجاهل تماماً قضايا أخرى. نستفسر من مرضانا عن التعرض للإيذاء أثناء الطفولة، ولكن ليس عن علاقات الأسبوع الماضى. نريد أن نعرف عدد السجائر وأكواب القهوة التى تتناولونها كل يوم، ولكن ليس عدد مرات الإجهاض التى مررت بها فى الماضى. نناقش الضغوط التى تنشأ عن توقعات

الوالدين والزيادة فى المصروفات الدراسية، ولكن نتجاهل متاعب الهيربيس ومخاطر الانحلال الجنسى، وحساسية مواضيع الخصوبة التى تواجه النساء اللاتى تضعن مستقبلهن المهنى فى المرتبة الأولى. نجاهد لمكافحة الانتحار، ولكننا نتجنب المناقشات حول وجود الله والمعانى المتجاوزة الماورائية.

يمنح "التعليم الصحى" المؤدلج وغير الدقيق أبناعا وبناتنا معلومات خاطئة، فيزيد من هشاشتهم. يتم تقديم فيروس الإتش أى فى وكأنه عدوى الفُرس المتكافئة. وبالرغم من معدلات الفشل الملموسة، لازالت الكوندوم تحظى بقدر لا نهائى من الترويج. تُخدع النساء الشابات بالاعتقاد بأنهن مثل الرجال بإمكانهن تأجيل الحمل إلى ما لا نهاية. يتم التحقير من شأن التبعات النفسية للإجهاض وللأمراض المنقولة جنسياً. يحتوى موقع شهير من مواقع مجموعة "Ivy League"^(١) إرشادات سلوكية لممارسات كان يتم تصنيفها عندما كنت أخضع للتدريب فى الثمانينيات باعتبارها اضطرابات عقلية. كان ذلك فى عصر ما قبل الكمبيوتر. ولكن منذ ١٩٩٤، لا تُعتبر السادية والمازوكية طبقاً لتصنيف الرابطة النفسية الأمريكية APA اضطرابات إلا إذا تسببت للشخص فى قدر من القلق أو الإعاقة. بعد عشر سنوات من هذا القرار المثير للجدل، تم الاحتفاء بهذا الموقع باعتباره "إسهاماً مدهشاً فى التثقيف الصحى من خلال التكنولوجيا".

لقد طفق بى الكيل ولم أعد أتحمل شعور الغضب، لذلك قدمت هذا الكتاب "أجيال فى خطر". كنت أفضل تجنب هذه الموضوعات. لكن هذا الكتاب جاء وطرق على الباب. اقتحم على حياتى فصلاً فصلاً، مع كل واحد من التلاميذ الذين دخلوا مكتبى. لقد دفعنى لقاء برايان، وأماندا، وصوفيا، وآخرين إلى معاينة الراديكالية التى اقتحمت مجال مهنتى

(١) مؤتمر رياضى يضم ثمانياً من مؤسسات التعليم العالى الخاصة فى شمال شرق الولايات المتحدة.

ودفعتنى إلى التكلّم والمجاهرة. لكن تلك اللقاءات جاعتنى أيضاً بالخوف والقلق. فما الثمن الذى سوف أدفعه لقاء مخالفتى للصواب السياسى؟

ربما لا تدرك ما بدأ بعض علماء النفس العاملين وراء الكواليس يُصرّحون به مؤخراً: "أن مجال علم النفس والطب النفسى وعلم الاجتماع قد تم السيطرة عليه من قبل أجندة ليبرالية متطرفة" وأن هناك "مافيا للمصالح الخاصة" تسلكت عبر منظماتنا القومية. من المحتمل أنك لم تسمع بأن بعض وجهات النظر "تتعرّض للتشهير والقمع"، وأن هناك "قصص رعب" من "الإسكات والتهديد"، وأن كثيرين لن يجاهروا بالحديث العلنى خوفاً من التعرض للتسفيه، أو الهجوم الشرس، أو فقدان المكانة والمنصب. فى كتاب عن تلك الحالة الخطيرة كتب رئيس سابق للـ APA يقول "عشت فى عصر محاكم التفتيش الماكارثية"^(١) والقوائم الهوليدوية السوداء، وبقدر ما كانت تلك الأشياء مقبولة، فلم يكن هناك ذلك الإحساس الباطن بالترويع الفكرى الموجود الآن تحت مظلة الصواب السياسى".

ربما كان الخوف. أو الرغبة فى تجنّب المواجهة، هو ما دفعنى إلى الاحتفاظ بأرائى لنفسى. يمكنك أن تقول إنى كنت أختبئ "فى الخزانة". كثير من زملائى فى العمل كانوا متحمسين لرؤية التغيير الذى يتمنونه يحدث فى المجتمع. أعلم أنهم عملوا بمثابة داخل المكتب وخارجه من أجل الترويج لقضايا اعتبروها صحيحة وعادلة. هذا التكريس الصادق ميّز حياتهم المهنية. كنت أخاف، إذا تجرأت وتحدثت. أن أواجه بالوصم وأحظى بعلاقات عمل متكلّفة ومصطنعة. ربما قد يتوقفون عن تحويل المرضى إلىى. من يدرى ما كان من الممكن أن يحدث؟ لذا فقد اخترت البقاء بعيداً عن دائرة الجدل. عندما كانت تصلنى رسائل بريدية أو تعليقات تثير القلق. كنت أتجاهلها.

(١) حقبة فى التاريخ الأمريكى أصدر فيها مكارثى قوانين طوارئ ضد الشيوعية تسمح بملاحقة المخالفين دون سند قانونى واتهامهم بتهم فضفاضة لا تحتاج إلى إثباتات.